الحلقة السابعة والعشرون

ليلة القدر خير من ألف شهر

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون : أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فلا زلنا مع نفحات ليلة القدر المباركة ، ولا زلنا نعيش في رحابها الفسيح ، وتحت ظلها الظليل ، ومع ما فيها من فيوضات ربانية ، ورحمات إلهية، وفي هذه الحلقة ، سأكمل الحديث عن ليلة القدر والشرف والرفعة ، ومن أطرف اجتهادات الصحابة في تحديد تلك الليلة ، ما قاله بعضهم ، من أن عدد كلمات سورة القدر ثلاثون كلمة كعدد أيام رمضان ، وأن كلمة " هي " التي تشير إلى ليلة القدر في قوله تعالي في السورة نفسها " سلام هي " وهذه الكلمة التي " هي " رقمها سبع وعشرون من كلمات السورة الثلاثين ، وبناء علي ذلك تكون ليلة القدر ليلة سبع وعشرين .

وعلي كل حال فتلك اجتهادات . وهناك اجتهاد آخر ، وهو أن حروف " ليلة القدر :تسعة حروف ، وقد ذكرت ليلة القدر في السورة ثلاث مرات ، وبضرب عدد الكلمات وهي ثلاث في عدد الحروف وهي تسعة ، يكون الناتج من خلال ضرب عدد الكلمات في عدد الحروف سبعة وعشرين ، وبناء علي ذلك تكون ليلة القدر في السابع والعشرين من شهر رمضان ، وكما قلت من قبل : هذه اجتهادات وقد تكون صحيحة وقد تكون غير صحيحة ، وتلك محاولات تفسيرية قد تصادف الواقع وقد لا تكون ، أما الثابت اليقيني ، فهو أن القرآن الكريم لم يعين تعيينا واضحا ، وان الرسول - عليه السلام - لم يحددها تحديدا تاما ، وإنما أخبر بأنها تكون في الوتر في العشر

الأخيرة من شهر رمضان ، وفي فضل تلك الليلة الكريمة، قال الرسول - عليه الصلاة والسلام :

- من قام ليلة القدر إيماناً واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه. (رواه البخاري).

وأفضل ما يدعو به المسلم في هذه الليلة أن يسأل الله العفو والعافية " اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة " وهناك خرافات ألصقت بتلك الليلة ، والدين ضد هذه الخرافات ، ومن ذلك ما قيل في شأن تلك الليلة ، أن فجوة تفتح في السماء كالنافذة مستنيرة ، وهذا شيء لم يرد في الدين ، وإنما هو خرافات وأساطير ، وليلة القدر يراها المؤمن في يقظته أو في منامه ، ولا يصل إلى هذه المرتبة ولا يري تلك الليلة إلا أهل المعرفة الحقيقية بالله ، هؤلاء العارفون بربهم ، يرون ليلة القدر بعلامات وأمارات أرشدنا إليها الرسول - عليه السلام - وتتمثل فيما قاله :

- إني كنت رأيت هذه الليلة وهي في العشر الأواخر في الوتر ، وهي ليلة طلقة بلجة ، لا حارة ولا باردة ، كأن فيها قمرا ، ولا يخرج شيطانها حتى يضئ فجرها.

ومشاهد هذه الليلة في اليقظة يعطيه الله صفاء في القلب وقوة ونقاء في الروح ، فيري بعين البصيرة ونور البصر منظرا يؤثر في مشاعره ، ويدرك أن ما رآه هو ليلة القدر ، بما ينكشف له من علامات هذه الليلة الكريمة ، وحينئذ إذا دعا ربه أجاب دعاءه ، وإذا سأل خالقه شيئاً أعطاه من فضله وعطاياه ، وليس كل إنسان مهيئا لهذا الفضل ، وإنما أولئك الصفوة من عباد الله الذين يحظون بهذا الفضل ، أولئك الذين امتلأت قلوبهم بخشية الله والخوف منه سبحانه ، وليلة القدر تتكرر كل عام ، وتأتينا في شهر رمضان ، وقد سئل الرسول - عليه الصلاة والسلام - عنها حيث قيل له : أهي شيء كان قد ذهب أم هي في كل عام ؟ فقال عليه السلام : "بل هي لأمة محمد ما بقي منهم اثنان" .

إن ليلة القدر وصفها ربنا بأجل الصفات ، وفيها يقدر الأشياء لسنتها

، ويظهر فيها لملائكته ما قدره أزلا ، وصدق سبحانه حيث قال :

﴿ فيها يفرق كل أمر حكيم ﴾ (الدخان : ٤).

وهذا لا ينافي أن ليلة النصف من شعبان فيها تقدير ، حيث إن التقدير ليس نوعا واحدا وإنما هو أنواع ، وأنواعه ثلاثة : أزلي وسنوي وتنفيذي ، فالأزلي : هو تقدير جميع الأشياء التي علم الله أزلا أنها ستكون من بداية الخلق إلى نهاية الدنيا " ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن " والسنوي : جزء من التقدير الأزلي خاص بسنة والله يطلع ملائكته عليه في ليلة النصف من شهر شعبان، والتنفيذي : هو تسليم الملائكة من الله ذلك التقدير السنوي لتنفيذه ، وهذا يكون في ليلة القدر ، وكما أن لكل إنسان منا في تلك الحياة عملا معينا ، فكذلك ملائكة الله لكل منهم عمل معين ، فمن بين الملائكة من هو موكل بقبض الأرواح ، ومنهم من هو موكل بالأرزاق ، وما إلى ذلك من أعمال مختلفة ، وابتداء من ليلة القدر هذه ، ينفذ كل ملك ما أنيط به من عمل. وهنا يرد سؤال وهو " لماذا أخفي الله عنا ليلة القدر ولم يحدد ليلتها ؟. وما السر في هذا الإخفاء ؟.

وللإجابة عن ذلك أقول : إن ربنا أخفي عنا انتهاء آجالنا لنجتهد في الطاعة ولا نسوّف ، كما أخفي رضاه عن طاعتنا وعبادتنا له ، حتى نستزيد من الطاعة والعبادة ، واخفي عنا كذلك ليلة القدر، لنلتمسها في ليال بدلا من إلتماسها في ليلة واحدة ، وبهذا الإخفاء ننشط في العبادة فترة أكبر من الزمن ، وهذا مما يزيد الرصيد من حسناتنا ، ويجعل كمية طاعتنا لربنا أعظم .. والرسول - صلوات الله وسلامه عليه - قرر أن ليلة القدر توجد في الوتر في العشر الأواخر من شهر رمضان ، ولم يحدد زمنها تحديدا واضحا وفي ليلة معينة، وقد أنسي ربنا رسوله محمداً - صلي الله عليه وسلم - لحكمة ، وتتمثل هذه الحكمة في التماس ليلة القدر في ليال عدة ، وترقبها في الوتر في العشر الأواخر من رمضان ، لتكون الفرصة أكبر في طاعة الله وعبادته ، وبهذا

الجد في عبادة الله، يكون العابدون محلا للتكريم الإلهي ، والرضا الرباني والعطاء ممن لا تنفد خزائن عطاياه .

أيها الإخوة والأخوات : إن الرسول - عليه الصلاة والسلام - كان إذا جاء الثلث الأخير من شهر رمضان ، شد مئزره ، وأيقظ أهله ، وجدّ في طاعة ربه، وأكثر من تلاوة القرآن الكريم ، وعلينا نحن الصائمين ، ألا تفوتنا الفرصة ، ولا تمر هذه الليلة ونحن في غفلة من ربنا وطاعته ، وألا يمر شهر رمضان دون استزادة من العمل الصالح ، وما الدنيا إلا وعاء لأعمالنا ، فإن كان العمل خيرا كان الجزاء خيرا، وإن كان الزاد قليلا فهذه بضاعة مزجاة ، فلنعمل علي اغتنام الفرصة والاستزادة من العمل الصالح ، لنحظى بالخير الجزيل من الله ، والله الموفق .